تاجر المجوهرات



سلسلة
المغامرين الاذكياء

دار الخائعي

صدر من

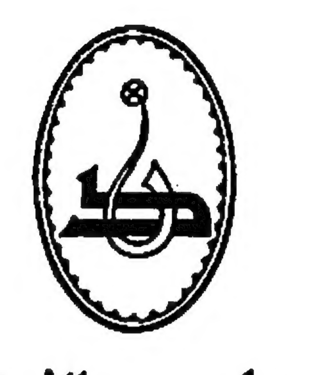
« المغامرون الاذكياء »

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضَّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .





المغامرون الأذكياء

تاجرُ المجوهرات

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس

الطبعة الاولى : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م

الطبعة الخامسة : ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - برقيًا : دانفايسكو

بلاغ

كانت أمسية باردة من ليالي الشتاء الطويلة . السماء ترعد ، والبرق يومض بشدة باعثاً في النفس الرهبة .

كان سرور في حلة الشتاء السميكة يجلس إلى جوار خالد ملتصقاً به طلباً للدفء هو صامت يتابع الحلقة المثيرة على شاشة التلفزيون . وهو الذي اعتاد أن يتابعها بكل جارحة فيه ، فكانوا يجدون في مراقبته متعة تفوق متعتهم من مشاهدة التلفزيون .

وكذلك كان فصيح متدثراً بردائه الصوفي الذي صنعته له ماما سعاد من التريكو الوردي الجميل . كان يغمض عينيه ثم يفتحها . ولعله كان أسعد الجميع في غفواته هذه ، فقد أمن شر سرور ومداعباته الثقيلة .

أما فينو فقد غفا إلى جوار المدفأة التي أشاعت في الغرفة دفئاً لذيذاً . وانتهت الحلقة المذاعة فقالت ليلى :

- كنت أتوقع لها نهاية غير هذه .

أجابها خالد :

- ماذا ؟ هل تنتقدين قصة أخرجها « ألْفرِدْ هِتْشْكُوكْ » ؟

أجابته بإصرار :

ـ ولِمَ لا .. إن للمشاهد أن يحكم مهما يكن المخرج .. أليس كذلك ؟

قالت ماما سعاد :

ـ معك حق ياليلى .. لا ينبغي أن نتقبل كل شيء دون نقد ..

التفت إليها عصام وقال لها :

ـ ولكنه هتشكوك أكبر مخرجي أفلام الرعب ياخالتي .. وأظن أنه فوق كل نقد ..

أجابته قائلة :

ـ ولماذا ؟ ألكونه هتشكوك فقط ؟ هل انتظرتم لتسمعوا وجهة نظر ليلى ؟ ربما كانت فكرتها تستحق التأمل ..

قال وليد بعدم اكتراث :

ـ وماذا يعود علينا من شغل انفسنا في التفكير فيما كان يجب أن يكون ؟ لقد شاهدنا الحلقة ، واعجبتنا جميعا . وفي هذا كل الكفاية .

ضحكت ليلى وقالت :

ـ ومنذ متى حاولت ان تفكر في شيء يا وليد ؟ ستسمع الآن رأيي والنهاية التي كنت أرجو أن تنتهي إليها الحلقة . وأنا واثقة بأنك ستقرها وتعجب بها ..

لم يجبها وليد ، واكتفى بالنظر إليها نظرة جوفاء لا معنى لها عندما قال خالد مازحاً :

- لا تحاولي التأثير في المستمعين . عليك أن تقولي فقط ، واتركينا نحكم لك أو عليك .

نظرت إليه في تحد وقالت :

- قد قبلت . .

وشرعت تقص عليهم النهاية التي تقترحها للقصة . وكانت نهاية مثيرة أثارت إعجاب خالد الذي صفق لها قائلاً :

- مرحى يا ليلى . . اقسم إنها نهاية رائعة . . أليس كذلك يا ماما ؟

ضحكت السيدة سعاد وقالت :

- بل أكثر من رائعة . . ألم أقل لكم دائماً لا تتسرعوا في الحكم على الأمور ؟

كان عصام ينظر إلى شقيقته باعجاب وقال :

- ليلى . . والله لو كانت عندي هذه الموهبة لما تركت القلم من يدي .

وقطع عليهم الحديث صوت الباب الخارجي يغلق . فقالت ماما سعاد :

- لقد حضر والدك .

وسمعوا صوت خطواته وهو يصعد الدرج . ورفع فينو رأسه ، وهز ذنبه دلالة أن القادم هو المفتش جميل .

وظهر المفتش من الباب ، وقال وهو يفرك يديه مستدفئاً :

- مساء الخير . . يا له من جو بارد . !

وأدار نظره في الجميع ثم قال :

ـ إنه برد لم نـر مثله من قبل . . درجة الحرارة انخفضت إلى درجتين فوق الصفر . . من يصدق ذلك ؟

وجلس إلى جوار السيدة سعاد قرب المدفأة ، وقال بمرحه المعهود :

ـ أحسن ما نفعل الآن هو أن نتناول عشاءنا . ثم نشاهد معاً الفيلم المذاع .

وانتهوا سريعاً من طعامهم الذي جدد بالفعل حيويتهم . وعادوا إلى مكانهم ، ليشاهدوا برنامجاً غنائياً راقصاً يسبق فيلم الليلة .

وفجأة رن جرس الهاتف ، فقام إليه المفتش وأخذه بيده وراح ينصت ، ثم قال :

ـ إذن أسرع يا ماهر . . سأرتدي ملابسي حالاً .

وضع السماعة وأسرع إلى حجرته ليعود بعد دقائق في كامل لباسه .

فاستقبلته زوجته قائلة :

ـ ما الخبر يا جميل ؟

أجاب قائلاً :

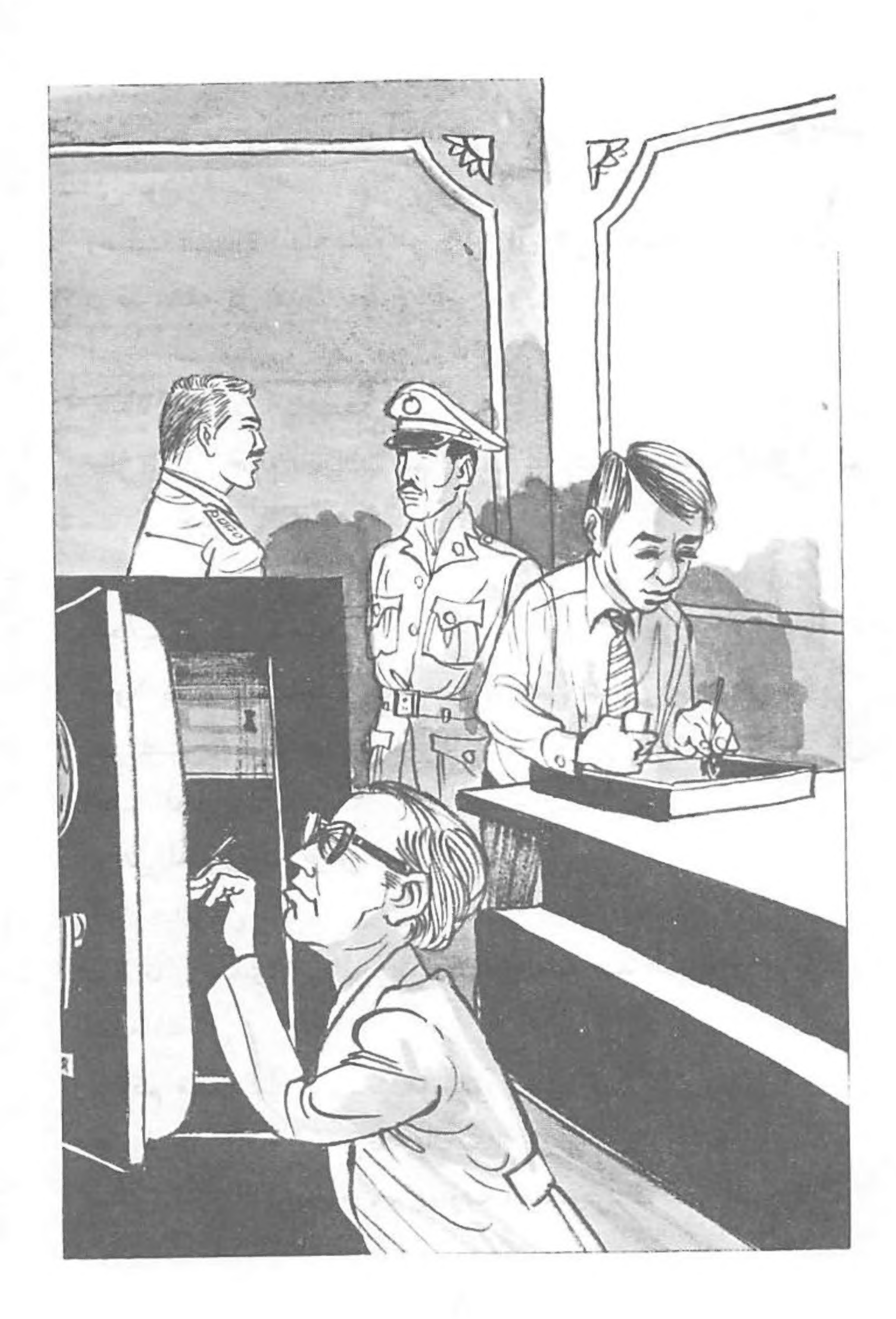
ـ سرقة مجوهرات في محل توما . .

قالت السيدة سعاد :

ـ إذن ارتـد معطفك يا جميل ، فالجو بارد . .

نظر إليها شاكراً ، ثم ارتدى معطفه بمساعدتها ، وقبلها مودعاً وهو يقول مداعباً :

ـ لا تنسوا . . شاهدوا الفليم ثم قصوه عليّ عند عودتي .



وقبل أن يخرج من الباب الخارجي سمعوا بوق سيارة الشرطة يعلم المفتش بوصولها .

وصلت السيارة المقلة للمفتش جميل إلى محل المجوهرات المسروق . وكان قد سبقه إلى هناك بعض الفنيين ورجال الأمن .

أسرع إليه النقيب ماهر وحياه قائلاً :

ـ حادث غريب يا سيدي . .

نظر المفتش حوله بامعان . ثم استمع إلى اقوال صاحب المحل . ثم التفت إلى خبير البصمات وقال له :

ـ لا بصمات . . ؟

أجاب الرجل بدهشة :

ـ ولا بصمات صاحب المحل . . لا بصمات على الاطلاق . .

هز المفتش رأسه وأومأ إلى ماهر فأسرّ إليه ببضع كلمات ، ثم أقبل على صاحب المحل وسأله :

ـ هل المسروقات مؤمن عليها ؟

أجاب الرجل :

ـ طبعاً يا سيدي . . المحل كله مؤمن عليه ضد السرقة والحريق .

سأله المفتش :

ـ وكم مبلغ التأمين . . ؟ هل هو يوازي قيمة المسروقات ؟

هز الرجل رأسه في حزن وقال :

ـ لا يمكنني الآن الجزم . . وسوف أقوم بجرد لأحصر المسروقات

وعلى كل حال فان مبلغ التأمين كبير . . إنه ربع مليون . .

أرسل المفتش صفيراً خافتاً من فمه وهو يقول :

ـ مبلغ كبير . . ومع ذلك لست واثقاً بأنه يوازي ثمن مسروقاتك ؟

هز الرجل رأسه في حزن عميق وقال :

ـ يا سيدي ، لقد سرقت ماسات المهراجا . وكلها قطع نادرة في حجمها وصفائها وألوانها المتعددة . . وكذلك مجموعة رائعة من اليواقيت والزمرد وصلتنا حديثاً من الهند . . يا لها من كارثة يا سيدي المفتش . . أرجوك ! أعد لي مجوهراتي يا سيدي المفتش .

قال المفتش يهدئه :

ـ اطمئن . . سنعيدها إليك إن شاء الله !

وانصرف المفتش جميل ، ولكنه أسر في أذن مساعده ماهر قبل خروجه ببضع كلمات رد عليها المساعد بالقول :

ـ حالاً يا سيدي . .

وعاد المفتش الى منزله في ساعة متأخرة من الليل .

وعلى الرغم من أن خالداً غالب النوم الذي داعب أجفانه طويلاً ليسمع من أبيه حين عودته أنباء القضية الجديدة التي يحقق فيها ، فإن النوم غلبه واستغرق في سبات عميق .

أما فينو فاكتفى بفتح عينيه عند مجيء المفتش ولم يند عنه أي صوت . والوحيد الذي ظل يقظان هو السيدة سعاد التي كانت تطالع في كتاب طوته

حين دخول زوجها وقالت :

ـ جئت ؟ الحمد لله ! كنت قلقة عليك بسبب هذا البرد القارس .

ولم يجبها بشيء إلا بعد ان خلع ملابسه واندس في الفراش ، اذ قال :

ـ كل الدلائل تشير الى أنها ستكون قضية حافلة بالغموض .



تحقيقات خالد

في صباح اليوم التالي استيقظت الفرقة مبكرة . وتخاطف أعضاؤها الصحف يقرؤونها . ولكن ما جاء فيها عن حادث السرقة لم يكن يشفي الغليل . فظلوا متلهفين الى لقاء المفتش حتى جمعتهم مائدة الإفطار به ، فاستقبلهم باسماً يقول :

ـ صباح الخير أولاً . . أقرأ في عيونكم أكثر من سؤال . ويؤسفني أن أقول لاجديد في الأمر حتى الآن . . إن التحقيق الفعلي لم يبدأ بعد . . مجرد معاينة وتنبيه للمطارات والموانىء . . مجرد احتياطات حتى لا تتسرب المسروقات الى الخارج .

كان حديث المفتش مخيباً لآمالهم ، فلم يتح لهم إشباع هوايتهم بالسؤال . ومع ذلك سأله خالد :

ـ تكفي المعاينة يا بابا ؛ فهي في نظرك أهم خطوة في كل حادث .

أجابه والده :

ـ هذا صحيح يا خالد . . ولكن أحياناً يصادفنا نوع من المجرمين الأذكياء يحرصون على عدم ترك أي أثر خلفهم . . ومرتكب أو مرتكبو حادث أمس من هذا النوع الذكي .

وسكت برهة ، ثم قال :

- من يدري .. قد لا يكون هناك جانٍ بالمعنى المعروف ؟ !
أثارت كلماته الغامضة انتباههم جميعاً ، فسأله خالد باسماً :

- كنت على ثقة بأنك كونت نظرية عن الحادث من المعاينة الأولى .
نظر المفتش الى زوجته وضحك ثم أجابه :.
- هذا صحيح يا خالد .. ولكنها مجرد شكوك واحتمالات لا يجوز الخوض فيها معكم أو مع أي شخص .. ألا تعرف هذا عني ؟

اكتفى خالد بهذا القدر من كلام والده منتظراً فرصة أخرى . ولكن ليلى لم تكتف بذلك ، بل فاجأت المفتش بقولها :

- هل تسمح لي بسؤال يا عمي ؟ إنه لا يمس سرية التحقيق .. اطمئن ..

ودهش المفتش ، فإنها المرة الأولى التي توجه فيها ليلى سؤالاً مباشراً ، إذ أن العادة جرت على أن يسأل خالد ويكتفي الأخرون بالإصغاء . فأجابها مشجعاً :

- سلي ما شئت يا ليلى .
احمر وجهها خجلاً وهي تقول :
- هل قيمة المسروقات كبيرة ..؟ اعني ..
ضحك المفتش وكمّل سؤالها قائلاً :
- تعنين هل قيمتها كبيرة ؟ .. نعم .. ثمنها قريب من ربع

مليون . . صدرت عن الجميع شهقات دهشة لضخامة المبلغ . ثم عاد المفتش يقول :

ـ وتكملة ما تريدين السؤال عنه : هل الجواهر مؤمن عليها أم لا ؟ ولهذا أجيب بأن مبلغ التأمين يقارب قيمتها حقاً ، وإن كان ذلك لا يقنع صاحبها .

سألته ماما سعاد :

ـ ولم لا يقنع إذا كان لن يخسر شيئاً ؟

أجابها بهدوء :

ـ يقول إنها قطع نادرة لن تعوض . وما كان ينتظره من ربح ببيعها يوازي ثمنها إن لم يزد عليه . . وأحياناً يتمادى المجني عليه في تضخيم مصيبته ، ففي ذلك عزاء له عندما يشعر أنه محل لعطف الجميع .

رفع خالد اصبعهمستأذناً في الكلام ، فضحك والده وقال :

ـ هات ما عندك . .

قال خالد :

ـ هل كان الرجل منهاراً بادي التعاسة ؟

بوغت المفتش بهذا السؤال فقال دون شعور :

ـ يا لله ! يالك من فتى . . ! إنه سؤال رائع يا خالد . . ومع إعجابي الشديد باتجاه تفكيرك لا أملك الإجابة الآن حتى لا اضطر الى الخوض في حديث لا أريده الآن .

ويبدو أن المفتش فضل الهرب من إلحاحهم ، فقد ظهر عليه الارتياح

عندما سمع صوت جرس الباب وهتاف فصيح الذي حفظ كلمات السائق وراح يرددها :

ـ وصلت السيارة يا سيدي .

ضحك المفتش وداعبه باصبعه فقال له :

ـ مع السلامة . . مع السلامة . .

أما سرور فأسرع قبله يفتح له الباب ويقف جانباً في احترام شديد ، فربّت على رأسه ، فانبسطت أساريره ، أما فينوفكان اكثرهم حظاً إذ شيّع المفتش حتى باب الڤيلا الخارجي ، ووقف في مكانه يرقبه حتى تحركت به السيارة . .

كان خالد مزهواً باعجاب والده في الوقت الذي حاروا فيه في معنى السؤال . حتى حيرتهم التي اشتركوا فيها جميعاً كانت متباينة ، فما كانت حيرة ليلى وعصام بحال من الأحوال تتساوى مع التلبد الكامل الذي استولى على وليد .

سألته ليلى بعد أن عادوا إلى الجلوس :

ـ ما معنى هذا السؤال يا خالد ؟ لقد أعجب به عمي جداً . وعليك الآن أن تشرح لنا ما يدور في ذهنك .

ابتسم خالد وقال :

ـ مجرد فكرة . . إنها ليست غريبة ، ومن المحتمل جداً حدوثها .

سأله عصام :

ـ ما هي ؟ لماذا لا تفصح ؟
ضحك خالد وقال :
ـ يبدو أن أعصابكم اهتـزت . . صبـراً سأشرح كل ما يدور بخاطري . .
قالت ليلى مازحة :
ـ تدلّل كما يحلو لك .
فرغ صبر وليد فقال :
ـ تكلم يا أخي . . كأنك تبيض لنا جوهرة . .
ضحكوا من أعماقهم وقال خالد :
ـ لقد سمعتم جميعاً من بابا أن الجواهر المسروقة قيمتها كبيرة . . قرابة ربع المليون . . وسمعتم كذلك أن صاحبها أمّن عليها بمبلغ يوازي هذا المبلغ . . فبديهي أن يصاب بتعاسة لفقدانه ربحاً ضخماً كان ينتظره من وراء بيعها . . أليس كذلك . . ؟
أجابته ليلى عنهم :
ـ لا شك . . ولكن التأمين سيخرجه من العملية دون خسارة .
لمعت عينا خالد وقال :
ـ هذا صحيح وغير صحيح . .
سأله عصام باهتمام :
ـ صحيح لكون الثمن والتأمين متكافئين . أليس كذلك ؟
أجابه خالد :

- نعم . .

قالت ليلى :

- وغير صحيح لأنه خسر الربح الكبير الذي كان يتوقعه . . أهذا ما تعني ؟

تهلل وجه خالد ورماها بنظرة إعجاب وقال :

- مرحى ياليلى . . ! هذا هو .

تدخلت ماما سعاد في الحوار المحتدم وقالت :

- ولكنك لم تفصح عن الدافع لسؤالك والدك . . ماذا قصدت من ورائه ؟

أجابها سائلاً :

- ضعي نفسك مكان هذا التاجر المنكوب ، فماذا يكون شعورك ؟

أجابته أمه :

- طبعاً منتهى التعاسة .

قال ببساطة :

- وان كان لم يضع منك شيء وتظاهرت فقط . . أيكون ما ينعكس على وجهك حزناً صادقاً وتعاسة طبيعية ؟

هتفت ليلى :

- يا الله . ! أين سرح بك خيالك . .؟ يالها من فكرة ويا له من احتيال . !

قالت السيدة سعاد :

- وما حملك على هذا الظن .؟

أجابها :

ـ لو أنه تاجر شرير ودبّر الأمر بمهارة لفاز بالمجوهرات ومبلغ التأمين معاً .

سأله عصام شاكاً :

ـ ولكن هل تعتقد أن الأمر يمر بسهولة على رجال الشرطة ولا سيما أن عمي هو الذي يتولى القضية ؟

أجابه خالد :

ـ أنا لم أقل هذا . . فليس البوليس وأجهزته العلمية الحديثة مما يسهل خداعه ، ولكن ما مجرم ارتكب جريمته إلا وهو يظن في نفسه ذكاءً كافياً لعدم سقوطه في قبضة الشرطة .

أكملت ليلى :

ـ إلى أن يجد نفسه في أيديهم والأصفاد تكبله . .

تابع خالد شرح ظنونه فقال :

ـ فإذا فرضنا جدلاً أنه كان حاذقاً وبارعاً في تدبير خطته أفلا تكون فكرتي معقولة ؟

أجابته أمه :

ـ لا شك في أنها معقولة ، ولكني لا أظن أن هذا التاجر العظيم الذي عرف بالثراء الفاحش والسمعة الطيبة يقدم على عمل من هذا النوع . . أتدري منذ كم سنة أسس محلاته هذه ؟ من قبل أن أولد أنا كان جدك يتعامل معه .

ضحك خالد لدفاع أمه وقال :

ـ وهل اتهمته حتى الآن يا ماما ؟ سألتموني لماذا سألـت بابـا سؤالي الذي أدهشكم فشرحت السبب . .

قالت ليلى برقة موجهة كلامها إلى خالتها سعاد :

لابد أن الخاطر نفسه كان في ذهن عمي ، وإلا لم يعجب به إلى هذا الحد . .

تمتم عصام يقول :

ـ أنا أوافق . . لقد كان عمي معجباً بسؤال خالد . .

* * *

وقائع جديدة

كان أول ما فعله المفتش جميل حين وصل إلى مكتبه هو الاطلاع على تقرير خبير البصمات الذي خلا من أي شيء يفيد التحقيق .

وضع التقرير جانباً وقال للنقيب ماهر :

ـ وهل كانت الصورة التي طلبتها واضحة ؟

قال ماهر :

ـ لقد أخذ الخبير عدة صور من زوايا مختلفة . وقد استعمل في ذلك عدسة عين السمكة .

أومأ المفتش برأسه علامة الرضا وقال :

ـ عظيم . ! اطلب منهم الاسراع في تحميضها وموافاتي بالنتيجة ، ثم عد إليّ فعندي ما أكلفك به .

ومضى ماهر مسرعاً لتنفيذ الأمر بينما استغرق المفتش في تفكير عميق .

وفجأة تناول دليل الهاتف ، وقلب صفحاته حتى وقع على الرقم المطلوب ، ثم أدار قرص الهاتف ، فلما سمع الصوت على الطرف الآخر قال :

ـ آلو . . السيد توما موجود ؟ صباح الخير . . هنا المفتش جميل

الأزهري من مديرية الأمن . . هل يسمح وقتك بالحضور ؟ . . نعم هنا في مكتبي . . سأنتظرك .

ووضع السماعة عندما سمع طرقاً على الباب . فقال :

ـ أدخل .

دخل ماهر وقال :

ـ الرائد سامح سيحضر بنفسه لمقابلتك . إنه ينتظر تجفيف الصور المكبرة .

ظهر الاهتمام على وجه المفتش الذي قال :

ـ اذا كان سامح سيحضر بنفسه فهذا يعني أن توقعاتي كانت صحيحة . .

ابتسم النقيب ماهر وقال :

ـ ملاحظة بارعة يا سيدي . . في الواقع لم ألحظها مع أنني عاينت المكان قبل حضوركم ، وهذا الدرج بالذات .

ضحك المفتش وقال :

ـ كثيراً ما يسهو الإنسان . . وجل من لا يسهو . . اجلس اولاً فسوف اكلفك بمهمة . .

جلس النقيب واصغى بانتباه الى حديث رئيسه الذي قال :

ـ كنتَ لا تزال في الكلية تدرس عندما حدثت الواقعة التي سأسردها عليك الآن . . كانت هذه الواقعة هي سرقة ، بل اكبر سرقة مجوهرات في تاريخ الإجرام في هذه البلاد . . فقد سطا مجهولون على اكبر محلات

المجوهرات في البلد ، واستطاعوا فتح الخزانة الحديدية ، ثم سرقوا ما بلغت قيمته بضعة ملايين .

وبعد تحقيقات مضنية استطعنا القاء القبض على بعض الجناة واسترجاع اكثر ما سرقوه . ولكن جزءاً من المسروقات كان قد هرب إلى الخارج ، وجزءاً آخر قد بيع داخل البلاد . ولم نستطع معرفة الأشخاص الذين اشتروا المسروقات لأن المجرمين الذين عقدوا معهم الصفقة كانوا قد هربوا الى الخارج . ولكن الشبهات حامت يومئذ حول هذا المدعو توما صاحب القضية الراهنة .

قال النقيب ماهر باهتمام :

ـ وهل كنت تشك فيه يا سيدي ؟

أومأ المفتش برأسه وقال متابعاً :

ـ نعم . ولكنها كانت مجرد شكوك ، فقد ابلغنا بعض مرشدينا أنه يجري اتصالات غامضة مع بعض السماسرة المشبوهين والمعروفين عندنا جيداً . . وعلى الرغم من مراقبتنا الشديدة له لم نستطع العثور على ما يدينه إدانة صريحة .

واشعل سيكارة ثم استأنف يقول :

ـ كانت كل أصابع الاتهام تشير إليه ، فالمجوهرات لم تخرج من القطر ، وكنا واثقين بأنها بيعت هنا . . وبأنه لا أحد يهتم بها أو يقدر على شرائها سواه . ومع كل ذلك لم نستطع إثبات التهمة ضده .

قال ماهر بدهشة :

ـ يا للماكر . ! يظهر أنه شديد الحذر . ! ولكن يقال إنه فاحش الثراء يا سيدي ، فما حاجته وهو في هذه السن المتقدمة إلى مخالفة القانون ؟

ضحك المفتش وقال :

ـ في بعض الأحيان ينقلب التاجر إلى هاوٍ . . وعلى ذلك فربما استهوته هذه المجموعة الرائعة من الماسات النادرة فاحب اقتناءها ولو خالف في ذلك القانون . . ومع ذلك فلا ينبغي أن نهمل الناحية المادية في الموضوع . فتجارة المسروقات تدر على صاحبها ربحاً كبيراً . أما أنه كبير السن فإن كبر السن لم يكن يوماً سبباً في الزهد والقناعة .

قال ماهر وهو لا يكاد يفهم :

ـ ولكن ما علاقة تلك السرقة وذيولها بقضيتنا الحاضرة ؟

أجاب المفتش :

ـ اكبر ظني أن المجوهرات التي يزعم أنها سرقت منه هي المجوهرات نفسها التي اشتراها من السارقين ، وأخشى أن يكون يدبر أمراً بشأنها .

قال ماهر :

ـ ولكنه قدم لنا فواتير هذه المجوهرات ، وليس فيها مايشير الى أنها هي المجوهرات المسروقة القديمة .

ابتسم المفتش بغموض ، ونظر في ساعته وقال :

ـ بعد نصف ساعة سأفسر لك الأمر . .

سكت النقيب تأدباً أمام رئيسه الذي عاد يقول :

ـ المطلوب منك أن تكون في غاية الحذر وانت تقوم بالمهمة التي سأكلفك بها .

وشرع المفتش يشرح خطته ، وماهر يصغي إليه دون سؤال حتى انتهى من كلامه فقال له :

ـ اطمئن يا سيدي ، فلن يلحظ شيئاً .

أكد المفتش أمره قائلاً :

ـ لا ينبغي أن يشعر بشيء ، فهو كما قلت لك شديد الحرص والحذر .

وطرق الباب . ثم ظهر من خلفه الرائد سامح وهو يحمل غلافاً كبير الحجم . وبعد أن حيا المفتش اقترب من المكتب وهو يقول :

ـ لقد تحققت ظنونك يا سيدي بصورة قاطعة .

انبسطت أسارير المفتش وقال :

ـ هكذا إذن .؟ ومع ذلك فإن هذا لا يعني اكثر من أنه احتاط لأمره بحفر خط ثانٍ له يتمركز فيه عند الانسحاب .

ولم يفهم الرائد سامح ما يعنيه بالخط الثاني ، كما ظهر الاستغراب على قسمات ماهر . لكن المفتش لم يأبه بذلك ، وتناول الغلاف وأخرج منه صوراً مكبرة مائة مرة لآثار خدوش وجدت على حافة الدرج داخل خزانة المحل . وبعد أن نظر إليها ملياً أعادها الى الغلاف وقال :

ـ عمل عظيم يا سامح . . أشكرك !

تردد سامح في مكانه كأنه يريد أن يقول شيئاً . فقال المفتش وقد أدرك ما به :

ـ تحب أنت وماهر أن تعرف ماذا عنيت بأنه الخط الثاني . . أليس كذلك ؟

تبسم الرائد سامح وقال :

ـ هذا هو ما يثير فضولي .

أجابه ببساطة متسائلاً :

ـ عندما تجد هذه الآثار في مكان حدثت به سرقة ضخمة كهذه إلى أي اتجاه يذهب تفكيرك ؟

قال ماهر بغير تردد :

ـ يتجه نحو الفاعل المجهول الذي حاول اغتصاب الدرج .

وافقه المفتش قائلاً :

ـ هذا أول ما يتبادر إلى الذهن . . ولكن في حالتنا هذه فتارك هذه الآثار يبدو أنه لم ينجح في اغتصاب الدرج . . فما معنى ذلك ؟

قال سامح :

ـ معناه أنها كانت محاولة أولى للسرقة . . أليس كذلك يا سيدي ؟

قال المفتش موافقاً :

ـ تماماً . . إن الفاعل يرمي إلى إيهامنا بأن محاولة سابقة للسرقة قد حدثت ، وأن فاعلها لم ينجح . .

سأله ماهر :

ـ ولكن ما هدف الفاعل الحقيقي من ذلك . . لقد حدثت السرقة فعلاً بعد ذلك . .

ابتسم المفتش ابتسامة واسعة وقال :

ـ وهل توصلنا إلى معرفة الطريقة التي تمت بها ؟ لا . . لقد ثبت أن الخزانة فتحت بمفتاحها ، أو بمفتاح مقلد باتقان . كذلك الدرج الذي رفعت عنه الآثار . فتح هو أيضاً بمفتاحه . . إذن فقد أخفقت محاولة الاغتصاب ، ونجحت المحاولة الثانية . وهذا يتجه بالشبهة الى أناس معينين ، ويضيق دائرة البحث . . هذا ما أراده الفاعل الحقيقي . . وهذا ما سنوهمه بأننا مقتنعون به .

والظاهر أنهما ظلا لا يفهمان شيئاً ، فعاد المفتش يقول :

ـ إن الذين يملكون القدرة على تنفيذ السرقة هم ثلاثة . . أليس كذلك ؟ صاحب المحل نفسه ، ومساعداه . فكلهم يستعمل المفاتيح لفتح الخزانة ، ولكن الدرج الذي بداخلها لا يملك مفتاحه إلا توما وحده . وليس لهذا سوى معنى واحد .

قال الرائد سامح :

ـ حقاً يا سيدي . . إن اصبع الاتهام تتجه نحو المساعدين .

قال ماهر :

ـ واحد منهما على الأقل .

هز المفتش رأسه إيجابياً وقال :

ـ الخزانة مفتوحة ، واقترابهما منها لا يثير أي شك . . وانتهز أحدهما ازدحام المحل وحاول كسر الدرج ولكنه أخفق . . أليس هذا هو المنطق الوحيد . . ؟ هذا ما يستدرجنا إليه الفاعل الحقيقي . وقد ترك لنا هذه الآثار عمداً حتى يوجهنا الوجهة التي يريدها .

تنهد سامح دلالة الفهم وقال :

ـ كم أود أن أترك العمل الجنائي وأعود للعمل تحت إمرتك . .

أشار المفتش الى غلاف الصور ضاحكاً وقال :

ـ إنك تفعل هذا الآن . .

ونظر الى ساعته وقال بلهجة آمرة :

ـ الآن الى العمل . . سامح إلى معملك . . وانت يا ماهر إلى مكتبك حتى أستدعيك فإني انتظر زائراً هاماً .

ومرت على خروجهما دقائق طرق على أثرها باب جانبي وفتح ودخل منه شاب بادي النشاط فحيا المفتش الذي سأله باهتمام :

ـ خيراً ؟

أجاب الشاب الغريب :

ـ لقد تحققت ظنونك يا سيدي ، فالخبير سافر اليوم صباحاً إلى سويسرا . .

لمعت عينا المفتش ببريق الانتصار وقال :

ـ عظيم . . عظيم جداً . ! أشكرك . . يمكنك الانصراف .

وعاد إلى مكتبه مرة أخرى حيث دوّن بضع كلمات في دفتر خاص ، ثم وضعه في الدرج وأغلق عليه ، وأشعل سيكارة وراح يدخن وهو ينظر بين الحين والحين إلى ساعة معصمه .

ولم يمض كبير وقت حتى وصل توما في موعده ودخل يرفل في ملابسه الثمينة الأنيقة . فحيا المفتش ومد يده إليه يصافحه فبرقت الماسة النفيسة التي كانت تزين خاتمه .

كان المفتش ينظر إلى وجهه بامعان وهو يتقدم منه ، وتذكر ملاحظة خالد فابتسم . ثم قال للقادم :

ـ تفضل . . لعلك أحسن حالاً الآن . . إني في الواقع أرغب في إلقاء بعض الأسئلة عليك . .

وفي الحال تبدلت سحنة الرجل وظهر على وجهه الأسى والحزن ، وقال بصوت ضعيف :

ـ وكيف أكون أحسن حالاً يا سيدي المفتش بعد هذه النكبة ؟

أجاب المفتش مشجعاً :

ـ ولكن الأمر لا يستدعي كل هذا الحزن . . كن واثقاً أننا سنلقي القبض على الجناة . .

وسكت برهة ثم قال بنغمة ذات معنى :

ـ وأننا سنزج بهم في غياهب السجن .

وتظاهر توما بأنه لم يفهم شيئاً ، وقال في لهجة استخفاف :

ـ أسأل الله أن يوفقكم . . أقسم لو أعدتم إلي مجوهراتي فسوف اتبرع للأعمال الخيرية بمبلغ عشرين ألفاً . .

ضحك المفتش وقال :

ـ هل استطيع أن أعتبر هذا وعداً ؟

قال توما :

ـ ليس وعداً فقط ، بل هو انجاز . . والآن . .

وأخرج من جيبه دفتر شيكات فحرر شيكاً بالمبلغ ، ثم دفعه الى المفتش قائلاً :

ـ هاك الشيك . . سيكون منذ الآن قابلاً للصرف .

تناول المفتش الشيك ونظر فيه ، وقرأ اسم الجهة التي حرر لمصلحتها وقال :

ـ أشكرك بالأصالة عن نفسي ، وبالنيابة عن إدارة المستشفى الخيري التي ستسر جداً حينما نقدم هذا الشيك لها .

وسكت برهة ثم قال :

ـ هل أحضرت معك الأوراق التي طلبتها منك . . أعني الفواتير ؟

أجاب توما وهو يخرج من جيبه غلافاً :

ـ ها هي ذي . . وهي تشتمل على المجوهرات المسروقة وغيرها . . فأرجو المحافظة عليها لأهميتها بالنسبة إليّ .

ضغط المفتش الجرس وقال :

ـ لا تخش شيئاً . . سنكتفي بتصويرها . . وستأخذها معك الآن .

وظهر ماهر فبادره المفتش قائلاً :بسرعة . . لانريد أن نؤخر السيد توما كثيراً . .

ـ ماهر . . حتى لا نعرض هذه المستندات للضياع أرجو ان تصوروها وتعيدوها

خرج ماهر حاملاً الفواتير الى حيث كان سامح في انتظاره ، فأسرع بها إلى المعمل ، وانهمك بفحصها مكرو سكوبيا . وما كاد يفعل حتى قال بفرح :

ـ رائع . !

سأله ماهر :

ـ ما هو ؟

أجابه وهو يرفع عينه عن المجهر :

ـ هذه الفواتير مزورة . . كل بياناتها مزيفة : التواريخ ونوعية الجواهر وأثمانها .

وانهمك في تصويرها ثم أعادها الى الغلاف وسلمه الى ماهر وقال :

ـ أعدها إليه . . وددت لو قابلت المفتش أمام بصره ليعلم أن أمره انكشف لنا .

وعاد ماهر الى المفتش الذي نظر الى عينيه فرآه يغمز له غمزة سريعة وهو يقول :

ـ تم تصويرها يا سيدي .

أخذ المفتش الغلاف وقال :

ـ شكراً يا ماهر .

وعندما خرج ماهر من الغرفة قال المفتش :

ـ لن أؤخرك كثيراً . . بضعة أسئلة فقط . .

هش توما متناسياً حزنه المصطنع لحظات وقال :

ـ الله الموفق . .

قدم المفتش إليه سيكارة وأشعلها له ثم قال :

ـ في الواقع قد تدهشك حقيقة لم تعرفها بعد .

نظر إليه في قلق ولهفة وقال :

ـ أية حقيقة ؟

أجابه المفتش :

ـ إن السارق ليس من الخارج . . إنه أحد مساعديك . .

تظاهر السيد توما بالدهشة والذهول وقال :

ـ غير معقول . . لا أصدق أبداً يـا سيدي المفتش . . لاشك أن في الأمر خطأ ما .

أجابه المفتش بهدوء :

ـ لا خطأ في الأمر يا سيد توما . . لقد أظهر المعمل الجنائي أن محاولة لاغتصاب الدرج الداخلي بالخزانة قد بذلت ولكنها أخفقت أول مرة . .

رفع توما حاجبيه من الدهشة وقال :

ـ أحق يا سيدي ؟ إذن هذا يفسر أشياء كثيرة . . يا للخونة . !

سأله المفتش باهتمام :

ـ وماذا يفسر ؟ لا تخف عني شيئاً اذا كنت حقاً تود استعادة مجوهراتك .

أجابه توما :

ـ منذ سنوات وأنا ألاحظ ظاهرة غريبة كنت دائماً أفسرها تفسيراً غير صحيح ، محافظة على سمعة المحل . . كانت تختفي قطع من المجوهرات بين حين وآخر . . وفي كل مرة كنا ننسب سرقتها الى الزبائن . . وهذه أمور تحدث كثيراً كما تعلم يا سيدي . .

وافقه المفتش على رأيه وقال :

ـ حقاً . . فهناك لصوص متخصصون بالسرقة في حال تظاهرهم بأنهم زبائن يريدون الشراء .

تابع توما كلامه قائلاً :

ـ كنت في هذه الحالات أكتفي بالتأكيد عليهم باليقظة . وكان الأمر ينتهي عادة عند هذا الحد .

وسكت قليلاً ليلتقط انفاسه ، ثم عاد يقول :

ـ أما بعد هذه الحقيقة الرهيبة فلا شك أنهما الفاعلان .

قال المفتش :

ـ لا نستطيع الآن اتهامهما معاً . ولكن واحداً منهما على الأقل هو الفاعل .

سأل توما :

ـ وبماذا تأمر يا سيدي ؟ هل أطردهما ؟

هز المفتش رأسه بشدة رافضاً الاقتراح وقال :

ـ ستفسد كل شيء إن فعلت . . إنني اطلب منك العكس تماماً . . دعهما في العمل الآن ، وسنكون لهما بالمرصاد حتى نعرف أيهما الفاعل ، وحتى يوصلنا الى المجوهرات دون أن ينتبه الى أننا كشفنا أمره .

وبعد ذلك نهض توما لينصرف وهو يقول متظاهراً بالفرح :

ـ معنى ذلك أنكم في الطريق . . أسأل الله لكم التوفيق .

وانصرف توما ، وبقي المفتش جميل في أحسن حالاته . حتى لقد استدعى الضابطين فدخلا عليه فتلقاهما باسماً وقال :

ـ الآن يمكننا الحديث . . اجلسا . .

جلس ماهر وسامح وهما متلهفان لسماع ما يقول ، وقال سامح :

ـ لعلها أسرع قضية يحل غموضها في ساعات بعد حدوثها .

ابتسم المفتش وسأله :

ـ ومن قال إننا فككنا غموضها ؟ إنها لا تزال غامضة لم تحل بعد . .

لم يتمالك سامح أن قال :

ـ كيف يا سيدي وقد ثبت أن الفواتير مزيفة . . إنها الدليل المادي المطلوب .

قال يسأله :

ـ وكيف ؟ ألأنها مزورة ؟

قال ماهر مستغرباً :

ـ الا يكفي هذا يا سيدي ؟

أجاب المفتش بهدوء :

ـ إنها دليل حقاً . . ولكن على التزوير وليس على الجريمة التي نحن بصددها . .

صمت الاثنان في انتظار إيضاحاته ، فعاد يقول :

ـ إنه مطمئن الآن الى ان السمكة ابتلعت الطعم وأننا حصرنا شبهتنا في مساعديه . وهذا هوالمهم بالنسبة إلينا الآن ، فإن أظهرنا ما اكتشفناه من تزوير الفواتير ونحن لا نعلم حتى الآن مكان المجوهرات فاني أخشى أن يسرع الى إخفائها مرة أخرى . ولا يهمه ان يستمر ذلك عدة سنوات أخرى . .

لاذ الضابطان بالصمت وقد أدركا غايات المفتش الذي عاد يقول :

ـ ولكن هذا لا يعني انه بعيد عن قبضتنا . . انه ابتلع الطعم الذي أعده لنا . . وهذا كل ما يمكنني أن أقوله الآن . .

أدرك ماهر وسامح أن الحديث قد انتهى ولن يسمعا المزيد منه ، لأنه إذا كان لا يبخل على مساعديه بكشف بعض الغموض في بعض المراحل ، فإنه يترك الحل النهائي طي الكتمان حتى النهاية .

رهـــان

كان خالد في أقصى حالات اللهفة لعودة والده . وكان لا يكف عن النظر إلى ساعة يده . ولكن الوقت مر ولم يعد والده ، فأحس بخيبة أمل . . إن معنى ذلك أن والده لن يتناول طعامه بالمنزل ، وهذا يحدث كثيراً كلما ازدحمت الأعمال عليه . أو كلما استغرق في احدى القضايا الغامضة . ولكنه اعتاد أن يتصل بهم هاتفياً في مثل هذه الأحوال . . غير أنه لم يفعل ذلك الآن . . وقدر خالد أن القضية قد شغلته تماماً حتى نسي عادته . . وليس بعيداً أن ينسى تناول الطعام ويظل جائعاً حتى عودته الى المنزل .

ولعل هذا هو ما كان يدور في ذهن ليلى التي قالت :

ـ يبدو أن عمي منهمك في القضية فنسي موعد الطعام . ؟

أمسك وليد بمعدته الضخمة وقال :

ـ وهذا مؤسف للغاية لأنني أكاد أموت جوعاً .

ضحكت السيدة سعاد لكلمات وليد وقالت :

ـ لا عليك . . ستملأ معدتك سريعاً . . لا أرى فائدة في انتظار عمك بعد الآن . . هيا الى المائدة . .

ولم يكن وليد ينتظر اكثر من ذلك ، فهب مسرعاً يتبعه سرور الذي كان أول من اتخذ مكانه حول المائدة .

قال خالد :

ـ لا بد أن بابا قد توصل الى شيء هام في القضية .

أجابته أمه :

ـ وما الغريب في الأمر ؟

أجاب باسماً :

ـ لا غرابة في الأمر ، ولكني في شوق الى معرفة ما وصل إليه . . فهل صحت نظريتي في القضية ؟

قال عصام :

ـ سواء أصحت أم لا فإن عمي لن يفصح عن شيء قبل وضع يده على الجاني .

وراح الجميع يلتهمون الطعام الشهي بسرعة حتى لا تفوتهم نشرة الأخبار المحلية التي تهتم عادة بمثل هذه القضايا الكبيرة .

قال خالد :

ـ أرجو أننسمع من الإذاعة ما يشفي غليلنا . .

وغادر المائدة قبل تناول الفاكهة ، ثم أسرع الى الراديو وجلس الى جواره ، فتبعه الآخرون وقد حمل كل منهم صحن فاكهته معه .

كان سرور قد لاحظ أن خالداً ترك المائدة دون ان يتناول شيئاً من

الفاكهة فأبى عليه حبه ووفاؤه لصاحبه إلا أن يحمل له شيئاً منها في طبقه ، ويقدمه إليه .

قال خالد باسماً :

ـ هكذا يكون الوفاء . . شكراً لك يا سرور . . أشكرك جداً . .

وتحفز فصيح لعمل شيء يفوت به على سرور فرصة الاستئثار بحب خالد وشكره ، ولكن خالداً الذي كان في لهفة لسماع النشرة الاخبارية حسم الموقف بترضية فصيح بقوله :

ـ وفصيح كذلك عظيم جداً . . رائع . !

ولم يفهم فصيح سبباً لهذا الاطراء الذي جاء بدون مقابل . ولكنه رضي به على كل حال ، وراح يردد مفتخراً :

ـ فصيح رائع . . عظيم جداً . .

أدار خالد زر الراديو . . وبعد عدة أخبار لم تكن تهمهم سمعوا المذيع يقول :

ـ جاءنا من مراسلنا القضائي أن التحقيق في قضية سرقة المجوهرات من محلات توما لا يزال مستمراً . . وقد أدلى مسؤول في إدارة الأمن بتصريح قال فيه ان الشرطة قد وضعت يدها على أدلة مهمة قد تؤدي إلى القبض على الجناة في وقت قريب .

كان الخبر مختصراً لا يشفي الغليل ، حتى ان ماما سعاد قالت وهي تنهض :

ـ لم نستفد شيئاً . .

قال خالد :

ـ وكيف ذلك يا ماما ؟ بل استفدنا فائدة كبيرة .

ونظرت إليه أمه غير فاهمة ، بينما كان فصيح يردد :

ـ فائدة كبيرة . . فائدة كبيرة . .

ضحك خالد وراح يداعب الببغاء حين قالت أمه :

ـ وما الجديد في النشرة ؟

أجابها ضاحكاً :

ـ لو أن مفتشاً آخر غير بابا وراء هذه القضية لما استفدنا من هذا الخبر شيئاً . . ولكن بابا لا يسمح بمثل هذا البيان يذاع إلا اذا كان حقاً قد عثر على الأدلة المرشدة إلى الجناة .

قالت ليلى مؤيدة :

ـ هذا حق يا خالد .

قال خالد :

ـ ومع ذلك فسوف نظل جاهلين كل شيء الى اللحظة الأخيرة ، لأن بابا لا يحب أن يستبق الأمور ، ويحب أن يترك كل شيء طي الكتمان الى ما يسميه باللحظة الحاسمة .

قال عصام مازحاً :

ـ ما يدرينا أن هذه اللحظة الحاسمة قد حلت قبل إذاعة النشرة ؟

أجابته ليلى في فرح :

ـ كم يكون ذلك رائعاً . . ستكون اذن سهرة لطيفة حول العم جميل وهو يفسر لنا غوامض هذه القضية .

كان خالد شارد الفكر فقال :

ـ ترى هل كنت على صواب ؟

قال عصام متنهداً مغتاظاً :

ـ هل سنعود الى الألغاز مرة أخرى ؟ ماذا جرى لك يا خالد ؟ إنك لم تعد تشركنا في تفكيرك . . فهل تستخف بتفكيرنا وترى أننا لسنا أهلاً للتفكير في مثل هذه القضايا ؟

قال خالد يخفف من غضبة عصام :

ـ أقسم لا شيء من ذلك يدور في خاطري يا عصام . . كل ما في الأمر أنه تخمين بعيد الاحتمال خشيت ألاّ تصدقوه أو تقبلوه فخطر لي أن أكتمه حتى يتبلور الموقف .

وسكت لحظة ثم غير مجرى الحديث قائلاً :

ـ ما رأيكم . ؟ سأكتب تقديراتي للقضية في ورقة ، وسأضعها في غلاف مغلق . . ويستطيع كل منكم أن يفعل مثلي . . فإذا انتهت القضية فتحنا الغلافات . . فمن كانت تقديراته هي الصحيحة نال جائزة نشترك جميعاً في شرائها .

وراقت لهم الفكرة فأسرعوا إلى تنفيذها . وبعد دقائق كان كل منهم

يحمل غلافاً مغلقاً يسير به إلى السيدة سعاد التي دهشت لمشهدهم فتساءلت في استغراب :

ـ ما هذا ؟

أجابتها ليلى :

ـ ستكونين حكماً بيننا . . كل واحد منا كتب رأيه في هذه القضية . ومن كان أقرب الى الحقيقة فسيفوز بالجائزة .

سألتهم بدهشة وهي تتناول الأغلفة :

ـ ولكن ما الجائزة أولاً ؟

أجابها خالد :

ـ لم نتفق عليها بعد . . المهم أنك ستشاركين في ثمنها . .

قالت ليلى :

ـ سيدفع كل منا خمسين قرشاً ، وعليك الباقي يا خالتي . .

ضحكت خالتها وقالت :

ـ سأفعل . . ولكن هاتوا قروشكم أولاً .

ومد كل واحد منهم يده الى جيبه غير وليد الذي ظل صامتاً ينظر إليهم بهدوء ، فقالت له ليلى :

ـ ما لك لا تتحرك . ؟ ألا تسمع . ؟

أجابها في عدم اكتراث للموضوع :

ـ بل أسمع . . ولكني أفضل أن اشتري بقروشي هدية أقدمها الى نفسي .

واستغرق الحاضرون بالضحك وهو ينظر إليهم في جمود كأنه لا يفهـم سبباً لضحكهم المتواصل .

قالت السيدة سعاد تسأله :

ـ ألم تكتب رأيك يا وليد ؟ لماذا كتبت إذن اذا كنت لا تريد المساهمة ؟

نهض بقامته الضخمة واقترب منها وقال :

ـ أتسمحين لي يا خالتي بكلمة صغيرة ؟

وانحنى على أذنها وهمس فيها ببضع كلمات انطلقت تضحـك على أثرها ضحكاً شديداً حتى ضحك الآخرون لضحكهـا دون أن يعرفـوا سببه .

وتمالكت ماما سعاد نفسها وقالت :

ـ لا عليكم . . سأدفـع أنـا نصيب وليد . واذا ربحـت فسأقاسمـه الربح ، وكذلك سيفعل هو اذا ربح .

نظر وليد إليها باشفاق وقال :

ـ خالتي . !

ولكنها أسكتته وقالت :

ـ اسكت انت . . ولن نفتح الأغلفة إلا بحضور عمكم جميل . .

عملية تجسسية

دخل الضابط الشاب وهو لا يزال في ملابسه التنكرية ، فاستقبله المفتش باسماً وقال له :

ـ زياد . . إنك بارع جداً في التنكر . .

أجاب زياد في أدب :

ـ تلميذك يا سيدي . .

قال المفتش وهو يشير إليه ليجلس :

ـ اجلس يا زياد . . حدثني أكان كل شيء على ما يرام ؟ هل واجهت صعوبات ؟

أجاب زياد :

ـ أبداً يا سيدي . . عطلوا خطه الهاتفي كما أمرت يا سيدي ، وسرعان ما اتصل الخدم مبلغين بالعطل وطالبين الاسراع بارسال مصلح . .

قال المفتش :

ـ طيب . . ثم ؟

استأنف زياد يقول :

ـ وعند وصولي كان همي ، كما أمرت، الالمام بكل من بالمنزل . . وقد

اكتشفت وجود ضيوف أجانب . . كانوا فتاة وشابين . . وسألت الخدم عنهم فقالوا إنهم أصدقاء للسيد توما ، وان أحد الشابين سيتزوج الفتاة ، وأن الخطيبين سيعقدان قرانهما هنا ، ثم يسافران الى الخارج لقضاء شهر العسل .

وبدا الاهتمام على وجه المفتش الذي قال :

ـ وهل عرفت متى وصلوا ؟

أجابه زياد :

ـ منذ أسبوع . . وهم الآن ينتظرون الخياطة لتنهي حياكة ثوب الزفاف .

فكر المفتش لحظة ثم تساءل :

ـ ترى ، أي خياطة . . هل عرفت اسمها أيضاً ؟

قال زياد :

ـ نعم يا سيدي . إنها الخياطة جورجيت .

وهنا أطلق المفتش من فمه صفيراً حاداً وقال :

ـ هكذا إذن . ؟ نعم . . نعم . . هذا ما كنت انتظر . . أشكرك يا زياد . .

قال الضابط المتنكر :

ـ هناك أمر آخر قد تهمك معرفته ياسيدي . . عندما صعدت إلى الطابق الثاني وأنا اتظاهر بتتبع الخط الهاتفي المعطل أرسلوا معي أحد الخدم ، ولكي أصرفه عني وأخلو بالطابق لإجراء بعض التحريات طلبت

منه كأساً من الشاي . فلما مضى لإحضاره تسللت الى الغرف فوجدت فيهاحقائب مغلقة لم استطع فتحها . وكانت هذه غرف الضيوف . أما غرفة نوم السيد توما فكانت مغلقة بالمفتاح .

وسكت زياد ، فاستغرق المفتش في تفكير عميق ثم قال :

ـ كنت اشتبه بذلك منذ البداية . . كنت أعتقد أنه يدبر أمراً . . عظيم جداً يا زياد . .والآن اذهب فاخلع هذه الملابس ، واستبدل بها ملابس أنيقة ، ثم خذ أفخر سياراتنا ولاحق هؤلاء القوم في كل مكان ، وارصد تحركاتهم وتنقلاتهم ولا تدع شيئاً يفوتك من أمرهم . . وسيكون النقيب ماهر خلفك في سيارة أخرى . . اذهب الآن واستعد . . ولا تنس أن تمر على المحاسب لتأخذ بعض المال لتنفقه في عملية المتابعة هذه .

انصرف زياد ، فدخل ماهر ليقول له المفتش :

ـ لقد وصل زياد الى معلومات مهمة ستوصلنا الى هدفنا . . عليك الليلة أن تلازمه كظله . وتزود بآلة تصوير من أصغر حجم موجود عندنا . . وحاول أن تصورهم في كل مكان ، وان تصور كل من يتصل بهم او يقترب منهم حتى الخدم والبوابين ، لأنني أتوقع اتصالاً من نوع معين سيجري في مكان ما . .

ثم نظر الى ساعته وعاد يقول :

ـ لا يزال الوقت مبكراً . . ولن يخرج صاحبنا للسهر قبل العاشرة . . سأكون في المنزل مستعداً للتحرك في أية لحظة ، وان كنت أستبعد أن

ننتهي من القضية هذه الليلة . . أهم شيء يجب أن نعرفه بدقة هو موعد الزفاف . .

سأله ماهر في استغراب :

ـ اي زفاف يا سيدي ؟

ضحك المفتش وقال :

ـ اجلس حتى أخبرك بما وصل إليه زياد حتى تكون على حذر تام . .

وراح يشرح له كل شيء . . ويخبره بما ينتظرهـم ، وان كان قد ترك السر الأخير طي الكتمان كعهده .

وبعد انصراف ماهـر حرص المفتش على أن يدون في دفتـره الصغـير بعض الملاحظات على شكل رموز لا يفهمهـا غـيره . ثم طوى دفتـره ووضعه في جيبه وهو يبتسم ، ثم غادر مكتبه عائداً الى المنزل بعـد يوم حافل بالعمل الناجح .

* * *

احتمالات متناقضة

كانت الفرقة هذه المرة تنتظر المفتش في غرفة البنغ بونغ . ولكي يطردوا هذا الاحساس بالبرد القارس ، ثم لكي يمضوا الوقت بغير ملل ، انهمكوا في مباريات حامية كان سرور يتولى فيها وظيفة المشجع . كان يجلس بإزاء الشبكة ويصفق لكل ضربة محكمة . وقد يقوم ببعض الحركات البهلوانية التي يقصد بها إلى التشجيع والاستدفاء معاً .

أما فصيح فقد قاوم البرد أولاً ، فلما عجز عن الاستمرار تسلل صاعداً إلى الطابق الأعلى وهو يردد :

ـ فصيح . . برد . . فصيح . . برد . .

ولم يلتفتوا إليه بسبب انشغالهم بوصول المفتش . إذ ما كادوا يرون سيارته تقف أمام الباب حتى ألقوا بالمضارب من أيديهم وأسرعوا جميعاً لاستقباله .

وعجب لهذا الاستقبال الحافل فقال يداعبهم :

ـ لا تقولوا انكم اخترتم البنغ بونغ في مثل هذا الجو القارس دون سبب . . أظنكم فعلتم ذلك لتربطوا على الطريق . . أليس كذلك ؟

صاح الجميع :

ـ نعم . . نعم . .



ودخلوا كلهم إلى حيث جلست السيدة سعاد التي هبت لاستقباله وهي تقرأ في عينيه بريق النصر الذي شاهدته يطل منهما في كثير من المرات السابقة .

قالت بمرح :

ـ لقد نجح هؤلاء الشياطين في ضمي الى فرقتهم .

ضحك المفتش وجلس دون أن يقول شيئاً . ولكن خالداً استطاع أن يتبين في ابتسامة والده ذلك الرضا الذي يشعر به كلما وصل الى حل القضية التي يتولاها .

نظر إليهم المفتش ولاحظ مدى لهفتهم الى سماع الأخبار فقال :

ـ تريدون أن تحدثكم شهرزاد . . أليس كذلك ؟ ولكن هذا لن يكون قبل تناول الطعام .

وأعد الطعام على عجل . وجلسوا حول المائدة يأكلون وهم لا ينفكون يرمقون بأنظارهم المفتش الذي ظل صامتاً كأنما يسره أن يعذبهم بصمته المطبق .

وبعد أن انتقلوا الى غرفة الجلوس لم يعد هناك مجال لتأجيل الحديث ، فبدأت السيدة سعاد فقالت :

ـ ألم تعلم أن الأولاد تراهنوا ؟

سألها قائلاً :

ـ على أي شيء ؟

أجابت ليلى :

ـ على نهاية القضية كيف تكون .
قالت ماما سعاد :
ـ كل واحد منهم كتب رأيه وأودعه في غلاف . والأغلفة معي .
ضحك المفتش وقال :
ـ على من يحاول معرفة النتيجة أن يعرف تطوراتها حتى الآن . .
قال خالد :
ـ الحق يا بابا أني أشك في أمر ولا أستطيع صرف تفكيري عنه مهما كانت التطورات .
قال المفتش برزانة :
ـ أعرف هذا . . وشكك في محله . . ولكن ذلك وحده لا يحل القضية . يجب على المحقق أن يعدل في نظريته بحسب ما يجد من معلومات . . وعلى كل أستطيع أن اهنئك سلفاً بفوزك بالجائزة .
قالت ماما سعاد :
ـ ان هذا لا يكفي . . يجب ان يعرف الجميع لماذا يفوز بالجائزة دونهم .
قال باسماً :
ـ من أراد السؤال فليفعل ، وسوف أجيب بالقدر المسموح به . .
نظر بعضهم الى بعض حائرين لا يدرون ما يسألون عنه ، حتى قال خالد :
ـ لدينا أسئلة كثيرة . . ولكن أرى أولاً أن تقرأ آراءنا المكتوبة .
قال المفتش :

ـ لابأس . . هاتوا هذه الأغلفة . .

وجاءت ماما سعاد بالأغلفةوعلى كل منها اسم صاحبه .

أمسك المفتش بها ، وراح يفرزها حتى استخرج غلاف خالد فوضعه جانباً وهو يقول :

ـ هذا غلافك يا خالد . . سيكون آخر ما نقرأ . . والآن هذا لمن . . هذا لعصام .

وفتحه ثم راح يقرأ بصوت مرتفع :

ـ حادث سطو عادي . . وقد ارتكبه لص خطير لا شك أنه معروف عند الشرطة .

ابتسم المفتش وقال معلقاً :

ـ بعيد عن الواقع . . هذا السطو غير عادي . . وصاحبه ليست له سوابق .

وفتح الغلاف الثاني وكان لليلى :

ـ الحادث مدبر بمهارة . ومرتكبه لص حاذق جداً .

قال المفتش :

ـ أقرب الى الحقيقة قليلاً . . فالحادث مدبر بمهارة . . ولكن صاحبه ليس لصاً بالمعنى المعروف .

وفتح الغلاف الثالث . وما إن بدأ بقراءته لنفسه حتى أغرق في الضحك حتى دمعت عيناه .

سألته السيدة سعاد :

ـ هذا غلاف وليد . . ما الذي أضحكك فيه ؟

قال المفتش بعد أن تمالك نفسه :

ـ اسمعوا رأي وليد . . يقول: أن هذا عمل عمي جميل وسأكتفي بالانتظار الى حين اسمع منه الحل الصحيح .

نظروا جميعاً إلى وليد الذي جلس ساكتا كأن الأمر لا يعنيه فقال المفتش :

ـ ولكنك بهذه الإجابة أضعت على نفسك فرصة الفوز . .

هز وليد منكبيه في عدم اكتراث وقال :

ـ ماذا يهم ما دمت لم أساهم في ثمن الجائزة .

ضحك الجميع . وأخذ المفتش غلاف خالد ففضه ثم راح يقرأ :

ـ ليس السارق لصاً محترفاً . . ولكن الفرصة تهيأت له فسرق . .

وسكت المفتش ، ونظر إلى ابنه باعجاب ثم قال :

ـ هذا أقرب شيء الى الحقيقة وان لم يكن هو الحقيقة بعينها .

وسكت قليلاً ثم استأنف القول :

ـ لكن إجاباتكم جميعاً تتحد في خطأ جوهري فاحش .

سأل خالد خجلاً :

ـ وأي خطأ ؟

أجاب المفتش :

ـ إن كل نظرية في جريمة ما تسعى الى تحديد شيئين : الأول شخص المجرم ، والثاني الدافع إلى الجريمة . ولم أجد في كل هذه الأوراق من

فعل ذلك . وأظن أن سبب ذلك يعود الى جهلكم بملابسات القضية . ولهذا سأزودكم ببعض المعلومات التي توصلنا إليها . . ولا تنسوا أن القضية لم تنته بعد ، فالقدر الذي سأفضي به لن يشبع فضولكم .

واعتدل المفتش في مجلسه وقال شارحاً :

ـ لنبدأ من الأول . . صاحب محل كبير للمجوهرات يبلغ الشرطة عن حادث سرقة يقع في محله . . وعند ذهاب الشرطة الى المحل يقول صاحبه : لقد سرقت لي مجوهرات ثمينة كانت في درج داخل هذه الخزانة . والآن ماذا تتوقعون اذا فتحنا الخزانة ؟

قال خالد :

نتوقع أن نرى خزانة فارغة .

قال المفتش :

ـ هذا هو المنتظر فعلاً . ولكن الواقع كان غير ذلك . . لقد وجدنا رفوف الخزانة ملأى بالمجوهرات التي لم يمسها السارق ، واكتفى بسرقة بعض المجوهرات التي كانت داخل درج من أدراج الخزانة . وهذا أول سؤال محير : لماذا سرق السارق بعض المجوهرات وترك بعضها الآخر مع أن الفرصة كانت سانحة ليسرق كل شيء ؟

نظر بعضهم الى بعض في حيرة وهم لا يدرون ما يقولون .

وعاد المفتش يقول :

ـ ولدى فحص الدرج لم نعثر على أي بصمة ، وإن عثرنا بالتصوير

المكبر على خدوش بسيطة تدل على أن محاولة سابقة قد بذلت لفتحه عنوة وان لم تنجح . وتبين من الفحص ان الدرج قد فتح بالمفتاح ، ثم أعيد غلقه . وهنا يأتي السؤال المحير الثانـي : إذا كان المجـرم يملك مفتـاح الدرج فلماذا حاول فتحه عنوة أول مرة ؟ قد تقولون : إنه لم يكن يملكه أول مرة ، فلما ملكه في المرة الثانية فتحه به ، ثم سرق ما أراد سرقته ، ثم أغلقه ومسح آثار البصمات عليه حتى لا يكشف عن شخصيتـه . . كل هذا معقول ، ولكن حتى يكتشف صاحب المحل أنه سرق لابـد له أن يفتح درجه ويرى بنفسه فقدان المجوهرات . ومعنى هذا أن يترك بصماته على الدرج . فإذا علمنا أن الدرج لم تكن عليه أية بصمات فما معنى هذا ؟

قالت ليلى في ذهول :

ـ الحق أنه لم تخطر على بالنا هذه الاسئلة من قبل .

قال المفتش :

ـ وسؤال ثالث أيضاً : لماذا يغلق السارق الدرج بعناية بعد أن يرتكب سرقته ؟ هل سمعتم يوماً بلص يسطو على منزل ، ثم يغلق بابـه وراءه بحرص ؟

قال عصام يسأل :

ـ حقاً لماذا أغلق الدرج وهو ليس في حاجة الى ذلك ؟

قال المفتش :

ـ اذا اهتديتم الى الأجوبة المقنعة عن هذه الاسئلةأمكنـكم أن تعرفوا

السارق . وبعد أن تحددوا شخصه يجب أن تتساءلوا عن الدافع الـذي دفعه الى ارتكاب جريمته . فإذا كان الدافع ينسجم تماماً مع وقائع القضية وملابساتها وبطلها تكونوا قد حللتـم القضية حلاً نهـائياً . وبإمكانـكم عندئذ إلقاء القبض على المجرم وتقديمه الى النيابة العامة .

قالت السيدة سعاد :

ـ لابد أنك قد فعلت هذه الاشياء كلها ، ولم يبق عليك سوى القبض على المجرم . . أليس كذلك ؟

ضحك زوجها وقال :

ـ يبدو انك تحمسينني لأبوح لكم ببعض الأسرار .؟ لن أفعل ذلك الآن لأن هناك أسئلة أخرى لا تزال تنتظر الإجابة عنها لإحكام الطوق حول عنق المجرم .

كان خالد شديد اللهفة لمعرفة شخص السارق ، فقال :

ـ سؤال أخير يا بابا . . هل توصلت الى معرفة الجاني أو الجناة ؟

ضحك المفتش وقال :

ـ نعم . . ولكن المهم بالنسبة الى مفتش المباحث ليس أن يعرف هو من الجاني ، بل أن يملك الدليل الدافع على جنايته بحيث يمكن تقديمـه الى المحاكمة واثبات التهمة ضده . وما لم يفعل ذلك فإن المجرم يخرج من المحاكمة مبرأ ، أو قد لا يقدم إليها على الاطلاق . ودليلنا الدافع في هذه القضية هو العثور على المجوهرات المسروقة وهي في حوزة السارق . فاذا لم نفعل ذلك اعتبرت معرفتنا بالمجرم مجرد ظنون لا أساس لها من



الواقع . ولذلك فإن همي الآن منحصر في العثور على الجواهر .

وقبل أن يتهيأ الآخرون لإلقاء اسئلتهم على المفتش رن جرس الهاتف فانقذه منهم ، وأخذ السماعة وقال :

ـ آلو . . نعم يا ماهر . . ماذا ؟

وراح ينصت باهتمام وسرور ظاهر كأنه تلقى أخباراً سارة الى ان قال بارتياح :

ـ عظيم جداً . ! استمروا في التعقب . . وقل لسامح أن يصور كل شيء كما أوصيته . . الى اللقاء غداً . .

الفــخ

بكّر المفتش بالذهاب إلى مكتبه . وكان في انتظاره النقيب ماهر والرائد سامح . حياهما ببشاشة وقال :

ـ نشرب القهوة ونحن نستمع إلى تقريركما . .

وبدأ ماهر فقال :

ـ غادروا قصر السيد توما حوالي الساعة العاشرة ، وذهبوا من توهّم إلى ملهى الأريزونـا حيث كانت إحدى الموائد محجوزة لهم في أقرب مكان من حلبة الرقص . ومضى الوقت دون أن يتصل أو يحتك بهم أحـد . وفي منتصف الليل مضى أحدهم الى مكالمة هاتفية . وكنت منذ أول السهرة قد ربطت آلة التسجيل بالخط الهاتفي . فحين ذهب هذا ليجري المكالمة أدرت الآلة وسجلت مكالمته . وبعد المكالمة التي دامت بضع دقائق عاد إلى المائدة وانحنى نحو رفاقه وتبادلوا حديثاً قصيراً سريعاً ، ثم عادوا إلى جلستهم وكأن شيئاً لم يكن .

سأله المفتش :

ـ اين التسجيل . ؟ هاته لأسمعه .

جاء ماهر بالآلة ، وبعد أن أعد الشريط أدارها ، فتناهى الى أسماعهم

صوت سيدة ، ثم سيدة أخرى جاءت بعدها ، ثم سمع المفتش صوت رجل يتكلم العربية بلكنة أجنبية ويقول :

ـ مدام جورجيت . ؟ هل انتهيت ؟

فأجابه صوت نسائي يقول :

ـ مسيو لماذا أنت مستعجل . ؟ موعدنا هو الغد . . أليس الزفاف بعد غد ؟

قال الصوت الأول بإلحاح :

ـ مدام . . اذا أمكنك انجاز العمل حتى الصباح فسأضاعف لك الأجرة ، لأنني قررت إقامة الزفاف غداً في الساعة الخامسة مساءً .

ضحكت المرأة وقالت :

ـ في هذه الحالة سأحاول . . لقد انتهيت من حياكة الثوب ، ولم يبق سوى تثبيت الأحجار فيه . .

أجابها بلهفة :

ـ كم أنت رائعة يا مدام جورجيت . . هل تناسبك الساعة العاشرة صباحاً ؟

أجابته المرأة :

ـ من التاسعة سيكون الثوب جاهزاً .

وانتهت المكالمة ، واستغرق المفتش في التفكير وماهر صامت لا يتكلم حتى قال المفتش :

ـ غداً صباحاً تكون القوة كلها في حالة استنفار . . قد لا نتحرك قبل

المساء ، ولكن قد نضطر الى تقديم موعد ضربتنا .

ومد سامح يده بالصور التي التقطها ، فاخذها المفتش وراح يتفحصها . وفجأة استوقف نظره صورة رجل يجلس على البار . وقال :

ـ هذا ما توقعته . . عظيم يا سامح . . عظيم . !

وسكت قليلاً ثم عاد يقول لسامح :

ـ قلت لي إن الزفاف سيتم في الغد . . سنكون هناك على سبيل الاحتياط . والقوة الرئيسية ستكون معي . .

ولم يفصح أين ستكون القوة أو الى أين سيأخذها . . ولم يحاول الضابطان أن يسألاه . .

* * *

في القصر الفاخر وقف السيد توما يشرح للعروسين دور كل منهما في اجراءات الزفاف والحفلة التي ستعقبه . قال :

ـ ستذهبان الى الكنيسة بألبسة الزفاف طبعاً . وبعد انتهاء المراسم ستغادران الكنيسة إلى الفندق حيث يجري الاحتفال الأول .

كانا يصغيان إليه بانتباه دون أن يفهما قصده حتى عاد يقول :

ـ سترتدين ثوب الزفاف الأبيض أثناء وجودك في الكنيسة والفندق . . وبعد عودتك الى هنا تخلعينه وترتدين الثوب الذي حاكته لك مدام جورجيت . .

قالت الفتاة :

ـ تحدثت كثيراً عن الزفاف والثياب والحفلات ولم تتحدث عن المهم . . وهو الجواهر وكيفية إخفائها . .

ابتسم بغموض وقال :

ـ وما حاجتك إلى إخفائها ؟ لا ترهقي فكرك بالتفكير في هذا الأمر . . كل شيء سيسير كما نرغب ونحب .

قال أحد الرجلين :

ـ يجب أن تصارحنا وتبين لنا كل شيء . . والا كنا كمن يجري في الظلام . . وأخشى في هذه الحال أن تخفق العملية . .

قال توما في حزم :

ـ انتم لستم شركاء لي . . انتم أجراء تتقاضون أجراً عن أعمال أنا أحددها لكم . واذا اخفقت العملية فالمال مالي وانا الذي سأخسره .

قالت الفتاة :

ـ ولكن من حقنا أن نعرف أين نخطو . . واذا لم نكن شركاء لك في المال فنحن شركاء في المسؤولية . . ثم أن زيادة الحرص أمر يعود الى مصلحتك .

أجابها بهدوء :

ـ اطمئنوا . . إني أحكمت خطتي ، ورتبت أموري جيداً .

وسكت قليلاً ثم استأنف يقول :

ـ بعد أن تبدلي ثوبك بثوب جورجيت ستظلين مع المدعوين نصف ساعة . وبعدئذ ستركبون السيارة بملابس الزفاف إلى المطار . . إنها بداية

شهر العسل كما تعلمون . .

وضحك فقالت الفتاة :

ـ إذن متى سنستلم المجوهرات ؟

رماها بنظرة ماكرة وقال :

ـ في الوقت المناسب . . دعي هذا لي . . ستكون معك في الطائرة . . أيكفي هذا أم لديك المزيد من الأسئلة ؟

وسكتت الفتاة وهزت كتفيها دلالة عدم المبالاة عندما رن جرس الهاتف . أسرع أحد الخدم يحمل جهاز الهاتف للسيد توما الذي رفع السماعة الى أذنه وقال :

ـ آلو . . مرحباً سيدي المفتش . . الآن . . ؟ يؤسفني أنني مرتبط بعدة مواعيد حتى الثانية . . بعد الثانية ؟ ليكن اذن في الرابعة . . ولكن هل جد جديد ؟

ويبدو أن المفتش أجابه إجابةً استراح لها فقد انبسطت أساريره وقال منهياً المكالمة :

ـ أرجو لك التوفيق . . إذن فاللقاء في الرابعة .

ووضع السماعة وابتسم ساخراً وقال :

ـ إنه ذلك المفتش المغرور . . عاد يطلب مقابلتي ليسأل عن بعض التفصيلات . وهو يكرر الوعد بأنه سيعيد اليّ مجوهراتي المسروقة .

وأطلق ضحكة مجلجلة ترددت اصداؤها في بهو القصر الواسع .

وتبادل الثلاثة النظرات . . وراحوا يسائلون أنفسهم : ماذا حدث للسيد توما الهادىء الرصين ؟ !

* * *

في تمام الرابعة كان السيد توما يطرق باب غرفة المفتش جميل . وفتح الباب وأطل برأسه وهو يبتسم قائلاً :

ـ انها الرابعة ايها المفتش . وهذا موعدي .

أجابه المفتش جميل مرحباً :

ـ تفضل بالدخول . . انك دقيق في مواعيدك . . طبعاً هذه صفة رجل الأعمال .

جلس السيد توما بهدوء وسأل :

ـ خيراً . ؟ هل عندك جديد في القضية ؟

أجاب المفتش :

ـ ليس بعد . . ولكني أحببت ان تزودني ببعض المعلومات عن مساعديك . . لقد وضعتهما تحت المراقبة . وحتى الآن لا يبدو عليهما ما يثير الشكوك . .

قال السيد توما :

ـ أنا لم أتهم أحداً منهما . . وتذكر أنك انت الذي حصرت التهمة فيهما . . وعلى كل فانه اذا كان أحدهما هو السارق فمن الطبيعي أن لا يفعل شيئاً يثير الشكوك . .

قال المفتش :

ـ هذا حق . .

واستأنف توما يقول :

ـ واذا لم يعرض السارق منهما ما سرقه على البيع فذلك لعلمهما أن أية قطعة من المسروقات تعرض على تاجر ستؤدي الى الكشف عنه . فمجوهراتي معروفة والتجار لن يشتروها قبل الاتصال بي . .

وسكت لحظة ثم قال :

ـ هذا اذا كان أحدهما هو الفاعل . .

ابتسم المفتش جميل وقال :

ـ لأول مرة أواجه قضية غامضة بهذا الشكل الشديد .

سأله توما دون ان يبدو عليه أي تأثر :

ـ أفهم من هذا أنك تشك في عودة مجوهراتي ؟

قال المفتش مطمئناً :

ـ حتى الآن لم أيأس . . وكن واثقاً أننا نبذل قصارى جهدنا .

قال السيد توما :

ـ لا يسعني إلا أن اتمنى لك التوفيق .

قال المفتش :

ـ هل تتكرم بالمرور علي في الغد . . في السابعة مساءً ؟ إنني انتظر تقارير من رجالي أود أن أطلعك عليها أولاً بأول . .

قال توما معتذراً :

ـ ولكنـي مشغـول في الغـد . . اننـي سأكون في حفـل زفـاف أحـد أقاربي . . وقد أعددت لهذه المناسبة حفلاً في منزلي . . وسأكون سعيداً اذا شرفتني بالحضور .

ابتسم المفتش وقال :

ـ احضر العرس واترك البحث عن مجوهراتك .

أجابه السيد توما وهو يضحك :

ـ سأمنحك إجازة . . أليست مجوهراتي ؟إنـي أعفيك مساء الغد من العمل . . ضغط المفتش على زر جرس أمامه وقال :

ـ صدقني أنا معجب جداً بقوة أعصابك . . لو أن غيرك تعرض لهذه الخسارة الفادحة لانهار انهياراً كاملاً .

قال السيد توما :

ـ وماذا يجديني الحزن ؟ هل يعيد إليّ مجوهراتي ؟ ثم لاتنس يا سيدي المفتش أنني مطمئن جداً إلى أن قضيتي في يد خبيرة ماهرة .

ظهر ماهر من الباب فقال المفتش :

ـ هل وصلتك أية تقارير ؟

اجاب ماهر :

ـ لا يا سيدي . . شددت فقط المراقبة على الموانيء والمطارات عملاً بأمركم . . وقد أصدرنا نشرة بأوصاف المسروقات وزعـت على محـلات المجوهرات كلها . .

قال المفتش بهدوء :

ـ أرسلوا نسخاً من هذه النشرة الى محلات المجوهرات العالمية في جميع انحاء العالم .

أدى ماهر التحية لرئيسه وخرج ، فالتفت المفتش الى السيد توما وقال له :

ـ ها أنت ذا ترى انني اتخذت كافة الاحتياطات اللازمة . والله الموفق فيما يأتي .

قال السيد توما :

ـ الله الموفق . . والآن هل يمكنني الانصراف ؟

أجابه المفتش :

ـ دقيقة واحدة اذاسمحت . . مجرد اسئلة بسيطة عن مساعديك .

وبعد بضعة اسئلة عامة سمح المفتش للسيد توما بالانصراف ، فخرج هذا وهو أشد اطمئناناً الى نجاح خطته ، واكثر وثوقاً بأن المفتش قد ضل الطريق وأنه لن يصل من كل تحقيقاته الى شيء .

وما كاد السيد توما يغادر غرفـة المفتش حتى دخل النقيب ماهر باسماً فقال له رئيسه :

ـ يا له من مجرم مغرور . . إنه يتحداني ويدعوني الى مسرح جريمته التي سيرتكبها . . الى حفل الزفاف في منزله .

قال ماهر :

ـ ان مايحيرني حقاً يا سيدي هو صبرك الزائد عليه .

ابتسم المفتش وقال :

ـ تعني لماذا لا أقبض عليه بعد أن تجمعت الأدلة كلها ضده ؟

أجاب ماهر :

ـ نعم يا سيدي .

قال المفتش وهو ينهض من مكانه :

ـ كل هذه الأدلة لا تقنع أحداً سوانا . . ان القضاة لا يقنعهم إلا دليل واحد هو المجوهرات المسروقة . . اي مادة الجريمة نفسها . ولابد أيضاً من ضبطها وهي تهرب ، وإلا فلا جريمة في أن توجد مجوهرات عند صاحبها . فهل فهمت هذه الناحية القانونية الدقيقة ؟

ظهر الاقتناع على وجه ماهر ، وعاد المفتش يقول :

ـ على كل حال لا تستعجل الأمور يا ماهر . . غداً سينتهي كل شيء .

ابتسم ماهر وقال :

ـ يا له من غد . . كم أنا متحرق الى مجيئه بسرعة .

ضحك المفتش وقال :

ـ هيا بنا الى منازلنا . . ولا تستعجل الغد فإن غداً لناظره قريب .

* * *

كانت الفرقة كلها في انتظار عودة المفتش بصبر فارغ ، وكانوا متلهفين لمعرفة المزيد عن تطورات القضية . . ولكن المفتش خيب آمالهم اذ لزم الصمت . ولكن خالداً لم يعد يطيق صبراً فقال يسأل أباه :

ـ أما من جديد يا بابا ؟

أجابه بهدوء :

ـ ألم تقرأ الصحف . ؟ لقد نشرت كل شيء باسهاب .

ضحك خالد وقال :

ـ أريد شيئاً غير الذي جاء في الصحف . . شيئاً خاصاً لا يعرفه أحد غيرك .

قال المفتش :

ـ أما هذا فلا . . على الأقل هذه الليلة . . أما في الغد فربما . .

قال خالد :

ـ أفهم من هذا أن القضية ستنتهي في الغد ؟

أجاب والده :

ـ نعم . . غداً سيكون المجرم في قبضة العدالة . . أيكفيك هذا ؟ والآن دعوني أخلد الى النوم فاني مرهق وأحتاج الى الراحة . .

* * *

وضبطت المجوهرات

أمضى المفتش جميل الفترة الصباحية من اليوم التالي في إصدار تعليماته ، وتوزيع قواته بدقة وإحكام .

وقبيل الظهر رن جرس الهاتف وكان السيد توما على الطرف الآخر يقول :

ـ سيادة المفتش . . لقد دعوتك بالأمس . . وهأنذا أكرر دعوتي . . أؤكد لك أنها ستكون سهرة جميلة تستحق أن تمنح نفسك من أجلها إجازة صغيرة .

قال المفتش وقد شعر أن توما يتحداه :

ـ إذن ما دامت سهرة ممتعة فلا مانع من حضورها ، وان كان ذلك سيؤخر العمل بعض الوقت .

قال توما بصوت لم يستطع أن يخفي ما فيه من سخرية :

ـ لا عليك من مجوهراتي . . إن شركة التأمين ستعوضني تعويضاً مرضياً ولا تنس أنني سأربح قيمة الشيك الذي معك في حال عدم عثورك على المسروقات . .

ضحك المفتش وقال :

ـ لا . إلا هذا . . إنني لا أفلت هبة كهذه بسهولة . . لن يعود إليك من الشيك سوى الشكر الذي ستقرأه في الصحف التي ستشيد بأريحيتك وكرمك .

ازدادت ضحكته سخرية وقال :

ـ كم أود لو صدقتك يا سيدي المفتش . . إنه أمل بعيد التحقيق ، ولكن ثقتك بنفسك تجعلني أقبل به .

قال المفتش :

ـ أرجو هذا . .

سأل توما :

ـ انك تعرف عنوان قصري أليس كذلك ؟ سأكون في انتظارك في العاشرة . وإن شئت ان تبكر لحضور الاكليل في الكنيسة الساعة الخامسة ، أو حضور حفلة الفندق بعد الكنيسة فبامكانك ذلك .

قال المفتش شاكراً :

ـ سأكتفي بسهرتك . . ولن أبقى في ضيافتك أكثر من ساعة واحدة .

ضحك السيد توما وتساءل :

ـ معنى هذا أنك ستتركنا في الحادية عشرة ؟

قال المفتش :

ـ نعم . وأرجو أن تكون هديتي الى العروسين أخباراً طيبة احملها إليك .

ضحك توما ضحكة طويلة لم تخل من معنى التهكم وقال :
ـ أرجو ذلك . . اذن الى اللقاء يا سيدي المفتش .

* * *

كان الفندق يحيي العروسين الشابين وكل نزلائه يشاركونهما الفرحة . وعندما انتقلا إلى البهو الكبير حيث أعد الاحتفال كانت العروس كالزهرة اليانعة في ثوبها الأبيض الجميل .

كان السيد توما يتقبل تهاني المدعوين وكأنه والد أحد العروسين . وكان مرحاً متهلل الوجه والابتسامة لا تفارق شفتيه . وكانت نظرة واحدة إلى وجهه تكفي للدلالة على أن الكارثة التي حلت به أخيراً لم تؤثر في نفسه .

وفي منتصف الحادية عشرة وصل المفتش جميل بعد أن سبقه حوض ضخم من الأزهار تهنئة للعروسين السعيدين .

استقبله السيد توما استقبالاً حافلاً ، وسار في رفقته ليقدمه الى العروسين وعثرا عليهما بين جمع من المهنئين ، فقال توما :
ـ أقدم لكما ألمع مفتش في إدارة المباحث العامة . . لا شك أنكم عرفتم جميعاً من هو . .
وبلهجة تمثيلية أكمل قائلاً :
ـ المفتش جميل الأزهري .
ومضى يصفق تحية للمفتش ، فصفق الآخرون تأدباً . كل ذلك

والمفتش يتميز غضباً من استخفاف السيد تومـا به ، هذا الاستخفـاف الذي وصل به إلى حد أن يدعوه إلى مكان الجريمة التي ينوي أن يرتكبها .

قال المفتش في نفسه وهو يبتسم للمصفقين : ليكن . . سنرى بعـد قليل من سيكون الساخر يا سيد تومـا . . لقـد قالوهـا في المثـل : من يضحك أخيراً يضحك كثيراً .

واختلط المدعوون يتحادثون ويضحكون ويرقصون. وفجأة سكتـت الموسيقى، وعلا صوت السيد توما يقول في مكبر الصوت :

ـ سيداتي ، سادتي ، بعد قليل سيغادرنا العروسان إلى المطار ليستقلا الطائرة لقضاء شهـر العسـل الجميل . فلهما منـا جميعـاً أطيب التهانـي والأماني بقضاء شهر عسل حافل بالعسل .

وتعالى التصفيق وعين المفتش جميل لا تفارق العروس التي انسحبت في هدوء إلى الدرج ثم الى الطابق الأعلى حيث لحق بها بعد قليل السيد توما .

طرق باب حجرتها ثم دخل دون ان تسمح له ، وقال بلهجة آمرة :
ـ اخلعي ثوبك هذا وارتدي الثوب الثاني الذي حاكته جورجيت .
قالت العروس في استغراب :
ـ ولكن ألن نذهب الى قصرك للحفلة الثانية كما كان مخططاً ؟
ضحك السيد توما وقال :
ـ يا عزيزتي ، إن الاحتياط يوجب أن نعلن شيئاً ونفعل شيئاً غيره . .

وهـذا ما تفعلـه الجهـات الأمنية المكلفـة بحماية الضيوف السياسيين الكبار . .

ابتسمت العروس وقالت :

ـ يا لك من عجوز ماكر . !

وانسحب توما من الحجرة بعد أن اطمأن الى ان خطته تنفـذ بدقـة وانسجام .

وخلعت العروس الثوب الذي كانت ترتديه ، ولبست ثوب الزفـاف الآخر ، ووقفت أمام المرآة تسوي من زينتها وترتب شعرها . ثم سارت عائدة ، وراحت تتهادى في مشيتها كأنها إحدى أميرات القرون الأولى .

استقبلها القوم بنظرات الاعجاب وقـد أسرهـم جمالهـا ، كما تلقتهـا النساء بنظرات الحسد والغيرة . ولكنها لم تأبه لهؤلاء وهؤلاء ، وسارت بين الجميع وهي ترفل في ثوبها الجميل وتخطر في زهو وخيلاء كالطاووس .

وعلى الرغم من أن المفتش كان أبعد الجميع عن التفكير بالجمال في هذه اللحظات الحرجة التي كان يهيىء فيها أمره ليضرب ضربته الأخيرة ، فإنه لم يتمالك نفسه من الاعتراف بأنها رائعة الجمال حقاً .

وتجمع المدعوون حول العروسين فانتهز المفتش فرصة الهرج ، وانسل الى الخارج واستقل السيارة التي كانت في انتظاره وقال للسائق :

ـ اسرع الى المطار .

انطلقت به السيارة القوية تسابق الريح وهو صامت غارق في التفكير إلى أن أيقظه من شروده توقف السيارة في المطار .

ابتسم للسائق برضا وقال :

ـ شكراً يا علي . . كنت رائعاً . . انتظرني هنا .

ودخل الى ساحة المطار الواسعة ، وتوقف لحظة شمل بها المكان بنظرة سريعة ثم أسرع الى المقصف حيث جلس بهدوء .

وبعد قليل لحق به النقيب ماهر وقال يسأله :

ـ هل من أوامر أخرى يا سيدي . ؟

أجاب المفتش :

ـ لا . ان الصيد في طريقه الى هنا ، فعد الى رجالك واستعدوا . .

وأخذ يرشف قهوته ببطء ، وعيناه على باب الدخول وأعصابه في أشد حالات التوتر .

ولم يطل انتظاره فقد ظهر العروسان من باب الدخـول وفي رفقتهما بعض الأصدقاء وضمنهم السيد توما الذي علق في عروة سترته قرنفلة حمراء كان يشمها بين لحظة وأخرى وهو سعيد بادي البشر والنشاط .

وبدأت عناصر الشرطة الموزعة في المكان تتحرك متجهة في بطء غير ملحوظ نحو العروسين . وراحت الدائرة تضيق وتضيق دون أن يشعر بها أحد .

نهض المفتش من مكانه حين شاهـد العروسـين يتجهـان نحـو باب



الدخول إلى ساحة المطار تهيؤاً للرحيل ، واقترب منهما حتى صار خلفهما مباشرة وقال بلطف :

ـ مرحباً بكما . . لقد حرصت أنا الآخر على أن أكون في وداعكما .

التفتا إليه فلما رأياه استولت عليهما المفاجأة . ولكنهما لم يفهما قصده .

قال المفتش والابتسامة لاتزال على شفتيه :

ـ هل تتفضلان باصطحابي الى المكتب ؟ . . هذا المكتب . .

سأله الزوج في دهشة :

ـ ولماذا ؟

أجابه في صرامة مفاجئة :

ـ دون أسئلة . .

كان ماهر يقف خلف توما الذي وقف غير بعيد منهما ، ولما سمع المشادة تقدم بجرأة نحو المفتش وقال :

ـ سيدي المفتش أقسم إنك كريم بحضورك لوداعهما .

التفت إليه المفتش وقال :

ـ إنه وداع لك ولهما . .

وأومأ برأسه الى ماهر وقال :

ـ اقبض على هذا الرجل . .

ودفع بالعروسين الحائرين نحو الحجرة المعدة للتفتيش وقال بعد أن دخلا :

ـ الآن انتهت اللعبة .

كان في الحجرة أمرأة وثلاثة رجال هبوا جميعاً لتحيته فقال بلهجة آمرة :

ـ فوزية ، اخلعي عن هذه الفتاة ثوبها .

وألقى إليها بثوب آخر كان يحمله معه في كيس صغير من النايلون .

كان ماهر قد وصل بالسيد توما الذي بدا منهاراً خائفاً زائغ البصر . وما إن رآه المفتش حتى قال له :

ـ مرحباً بالطاووس الغبي . . هل ظننت لحظة أنك من الذكاء بحيث تخدع الشرطة ؟

كان توما يرتجف بشكل ظاهر وقال :

ـ ماذا تعني يا سيادة المفتش ؟ . . لماذا قبضت علي ؟ هل ارتكبت جرماً إنها إهـانة لن أسكت عليها .

ضحك المفتش وقال :

ـ أحقاً ؟ ! هل ستتقدم بشكوى لأن الشرطة ضبطتك متلبساً بجريمة تهريب مسروقات ؟

ودخلت العروس في ثوبها العادي ، ووراءها فوزية التي كانت تحمل ثوب الزفاف . أخذ المفتش الثـوب من فوزية ودفعـه الى أحـد رجالـه وقال :

ضعوا هذا الثوب في مضبوطات القضية .

ونظر الى توما ساخراً وقال :

ـ إنها طريقة مبتكرة يا توما لتهريب الأحجار الكريمة في ثوب زفاف .

ولكن حيلتك لم تنطل على الشرطة .

امتقع وجه توما وخارت قواه فجلس على أحد المقاعد وهو يراقب خبير الشرطة الذي كان يفحص بسرعة ومهارة الأحجار الكريمة المثبتة في الثوب .

أخرج الخبير من جيبه عدسة مكبرة ونظر في إحدى الأحجار ملياً ثم قال :

ـ حجر من الماس الحقيقي يا سيدي المفتش . .

واستولى اليأس على السيد توما فقال مخاطباً المفتش :

ـ وما علاقتي أنا بكل هذا ؟

ابتسم المفتش وقال :

ـ أية تهمة تحب أن نوجهها إليك ؟ تهمة شراء أشياء مسروقة ؟ أم تهمة التلاعب للحصول على قيمة تأمين ضد سرقة مزعومة ؟ أم تهمة التهريب ؟

أجابه بوقاحة :

ـ أنا بريء من كل ذلك . . فليس الثوب ثوبي ولا الأحجار أحجاري . . وما علاقتي أنا بما يفعل غيري . ؟

أدركت الفتاة أنه يحاول إلقاء التبعة عليها وعلى رفيقها لينجو وحده بجلده ، فقالت بغضب :

ـ أيها الجبان . . أنت صاحب كل شيء . . وأنت الذي دبر كل شيء .

ثم التفتت الى المفتش وقالت :

ـ أقسم لك يا سيدي المفتش أنني لا أعلم شيئاً من أمر هذه الجواهر .

أومأ المفتش برأسه والابتسامة لا تفارق شفتيه وقال :

ـ أعلم ذلك . وأعلم أيضاً أنك لو علمت بأمرها لما تغير موقفك من الجريمة ، لأنك إنما جئت الى القطر للقيام بهذا العمل وقبض أجرة عنه .

وسيق الجميع الى السجن ، وأحرز الثوب وجواهره في حرز ختمه المفتش بالشمع تمهيداً لتسليمه الى النيابة العامة .

* * *

عاد المفتش الى منزله حيث كانت الفرقة لاتزال يقظى بكل أعضائها تنتظر مجيئه . وما كاد يهبط من السيارة حتى وجد أمامه خالداً يسأله :

ـ هل أقول « مبروك » يا بابا ؟

ضحك المفتش وقال ببساطة :

ـ نعم يا خالد . . انتهيت من القضية . .

هتف خالد دون شعور :

ـ عاش بابا العظيم . !

أجابه صوت فصيح الذي غلبه النعاس :

ـ عاش بابا . . عاش بابا . . عاش بابا

تمت

من مَنشورَات «دَارالنَفائسْ»

للأطفال والفتيان

- سلسلة أحسن القصص
- سلسلة حكايات النفائس للأطفال
- سلسلة الكون والحياة
- سلسلة المغامرين الأذكياء
- سلسلة صور من حياة الصحابة
- سلسلة مآثر الصحابة
- سلسلة العصبة الخفيّة
- سلسلة برهوم
- سلسلة المغامرين ١٣
- سلسلة زامبو

عش الثعلب

إن بيت الثعلب لا يسمى عشاً ... ، أما إذا تحوَّل الثعلب إلى طائر فيمكن تسمية منزله عشاً ...(!)

في القصة التالية ـ عش الثعلب ـ يقتلُ وحشٌ تاجراً كبيراً في سيارته بالقرب من عش الثعلب .. وتعتقد الشرطة بوجود جريمة من نوع جديد .. وقبل أن تتوصل إلى الحقيقة تكتشفها فرقة المغامرين الأذكياء ...

كيف تم ذلك ؟

لا شك ان الحظ تدخل هذه المرَّة ، وإلا لما أمكن التوصل إلى معرفة جميع الأمور الغريبة التي رافقت الحوادث المذهلة في القصة .

في هذه القصة ، مثل جميع القصص التي نقدمها لأعزائنا ، حوادث جديدة لا يغني الحديث عنها عن قراءتها .

طبع في دار النفائس - ص.ب: ١١/٦٣٤٧ - هاتف: ٨١٠١٩٤ - بيروت